«عربات جدعون» تغرق في غزة.. حين تتحوّل آلة الحرب إلى أداة استنزاف ذاتي

محمد الأيوبي
موقع العهد الإخباري

من النادر أن يُقرّ نظام استعماري استيطاني أن أدواته العسكرية باتت عبئًا عليه، وأن آلته الحربية المتفوّقة، عدديًا وتكنولوجيًا، قد أضحت فريسة للكمائن والعبوات، في سياق حرب غير متكافئة من حيث الموارد، لكن متكافئة، حتى راجحة، من حيث الإرادة. «إسرائيل»، اليوم، في قطاع غزة، لا تبدو فقط عاجزة عن تحقيق أهدافها العسكرية، هي أيضًا تبدو وكأنها تسير إلى الوراء، محمولة على «عربات جدعون» التي بدأت تتصدّع تحت وقع الضربات المقاومة.

خلال الأسابيع الماضية، سُجّلت خسائر بشرية ومادية متصاعدة في صفوف «الجيش الإسرائيلي»، أبرزها مقتل ٢٠ جنديًا في أسبوع واحد فقط، «كما جاء في بيانات العدو الرسمية». وهذا يعيد إلى الواجهة معادلة كُسِرت منذ الأشهر الأولى للعدوان: أن الجنود «يقاتلون من وراء الشاشات». هذه الخسائر، على رمزيتها، تعيد طرح السؤال الجوهري: هل باتت حرب غزة عبئًا استراتيجيًا على «إسرائيل»؟ وإن كانت كذلك، فهل تنجح في الخروج منها من دون هزيمة معلنة؟

الاستنزاف بوصفه نتيجة منطقية

حين تتحوّل الحرب إلى استنزاف يومي بلا أفق، فإن ذلك لا يشير إلى فشل تكتيكي، بل إلى انهيار المفهوم الاستراتيجي نفسه. الخطة المسماة «عربات جدعون»، والتي بدأت بصفتها حملة عسكرية برية موسّعة تهدف إلى «إزالة التهديد الوجودي»، كما سوّق لها الإعلام العبري، انتهت إلى كونها مسرحًا متكررًا لكمائن ميدانية، تذلّ فيها المدرعات الحديثة، وتُصطاد ناقلات الجنود كما تُصطاد الفرائس في العراء.

من خان يونس إلى شرق غزة، ومن الزنة إلى جباليا، لم تعد العربة المدرعة «إيتان» أكثر من تابوت متحرّك، ينقل الجنود إلى موت شبه مؤكد، على الرغم من التفوق الجوي والتقني؛ حتى منظومات الحماية النشطة، والتي طالما تغنّى بها «الجيش الإسرائيلي»، أثبتت فشلها أمام عبوات المقاومة المصنوعة يدويًا. هذا يكشف خللًا بنيويًا في التعويل المفرط على التكنولوجيا من دون فهم لطبيعة «الحرب الشعبية» التي تخوضها حماس وفصائل أخرى.

لعبة الأوهام في «الكابينت»

يرفض نتنياهو الاعتراف بهذه الحقيقة؛ فبالنسبة إلى رجل يحكم بمنطق البقاء السياسي لا مجال للهزيمة ولا حتى للانسحاب، إلا إذا طُلي بغلاف لغوي منمّق: «تحقيق الأهداف التكتيكية»، أو «ضمان الردع»، أو «الانتقال إلى مرحلة ما بعد حماس». لكنّ المؤسسة العسكرية بدأت، على استحياء، تهمس بما لا يريد سماعه: «لقد وصلنا إلى الحائط». جيش الاحتلال أبلغ المستوى السياسي أنه يسيطر على ٦٠٪ من القطاع، وسيصل إلى ٨٠٪ خلال أسابيع. ولكن، ما هو معنى السيطرة في حرب المدن؟ وهل يمكن تعريف النجاح العسكري في احتلال أنقاض؟ وهل يُقاس النصر بعدد الأنفاق المهدّمة، أم بعدد الأطفال الذين استشهدوا؟ في العقل الاستعماري، لا تُطرح هذه الأسئلة، لكن على الأرض، المقاومة تطرحها كل يوم، وبالدم.

حرب بلا غاية.. كيان بلا رؤية

الفجوة الكبرى تكمن في أن «إسرائيل» تخوض حربًا لا تعرف غايتها. تسأل صحافية «إسرائيلية» وزير الحرب: ما الهدف؟ لا إجابة واضحة. مجرد عبارات دائرية عن «ظروف مؤاتية»، و«استعادة الأسرى»، و«اليوم التالي». حتى أكثر الموالين لليمين بدأوا يعبّرون عن يأسهم، كما في حال عضو «الكنيست» عميت هاليفي، والذي اعترف بأن لا شيء تحقق، وأن «حرب العصابات تتفوق على الجنرالات الذين خُدعوا بتفوقهم الجوي».

تحديدًا هنا بيت القصيد: «إسرائيل» ليست فقط في مأزق ميداني، أيضًا هي في مأزق سردي. لقد فشلت في السيطرة على رواية الحرب، ولم يعد العالم يتعاطى مع هجماتها على غزة أنه «رد فعل دفاعي». لقد باتت المجازر اليومية والأرقام المهولة للضحايا دليلًا على انهيار المعايير الأخلاقية والإنسانية، والتي طالما اختبأت خلفها في الغرب.

المقاومة فاعل عقلاني

على النقيض من صورة «الهمجية» التي يروّج لها الإعلام «الإسرائيلي»، تبدو المقاومة أكثر انضباطًا وتخطيطًا. تكتيك «اصطياد العربات» لم يكن فعلًا عشوائيًا، بل جاء نتيجة مراقبة دقيقة، واستدراجات مدروسة، وتكامل بين فرق الاستطلاع والهندسة والوحدات الميدانية. ومع كل كمين موثّق، تفقد «إسرائيل» جزءًا من هيبتها العسكرية.

هذا ما يفسّر لماذا لم تنجح عملية «عربات جدعون»، والتي راهنت عليها «إسرائيل» بوصفها «مضادة للأنفاق والكمائن»، في إنجاز مهمات نوعية وتحوّلت إلى فريسة، وسقطت في مناطق الزنة والسطر الشرقي والغربي، شرق غزة، وشمال جباليا. ولم يكن سلاح الجو إلا حبل النجاة الذي لجأ إليه الاحتلال لتغطية انسحاباته.

كلفة لا يمكن تسويغها

نحن أمام واقع عسكري جديد، جيش يرفض مواصلة القتال، لكنه لا يجرؤ على إعلان الهزيمة، ورئيس وزراء يرفض الاعتراف بفشله، ويستمر في تكرار الوعود، على الرغم من انفلات الأمور على الأرض. وعليه، فإن الكلفة البشرية – ٨٨٠ قتيلًا من جنوده، بينهم ٤٣٨ منذ بدء الاجتياح البري، «وفقًا لما أعلنه العدو»، تتحوّل تدريجيًا من «ثمن الحرب» إلى «سلاح المقاومة».

هذا ليس لأن عدد القتلى في ذاته مرتفع، بل لأنّ «إسرائيل» لم تعد تملك رواية تسوّغ فيه استمرار النزف. ومع تزايد الاحتجاجات الشعبية والتصدّعات داخل النخبة الأمنية، تصبح كل جولة قتال جديدة خطوة إضافية نحو الهاوية، لا نحو النصر.

الكمائن.. حين يتحوّل الاجتياح إلى فخّ مفتوح

في هذا الإطار، لا تبدو الكمائن التي تنفذها المقاومة مجرد ردود فعل ميدانية، هي رسائل مزدوجة تُرسل بدقة متناهية:

١. عسكريًا، تعني أن جيش الاحتلال لم يعد قادرًا على التحرك الآمن، حتى في المناطق التي يدّعي السيطرة التامة عليها. كلّ نقطة تماس باتت فخًا محتملًا. «السيطرة» في خطاب الجيش تتحوّل إلى عبء نفسي، لا واقع عملياتي. ٢. سياسيًا، تضع المقاومة توقيعها الواضح: لا انهيار، لا انكفاء، بل قدرة متواصلة على المبادرة واستمرار في التحكم بإيقاع الميدان، على الرغم من القصف المتواصل والجوع والمجازر؛ لكن الأهم أن استراتيجية الكمائن لم تعد تكتيكًا ظرفيًا، بل تحوّلت إلى أداة مركزية في عقيدة الاستنزاف التي تتبناها فصائل المقاومة، ضمن فهم عميق لطبيعة الصراع. «الكمين، إذًا، ليس فقط فخًا لآلية أو كتيبة، هو كمينٌ لكل من راهن على الحسم العسكري، وصدّق أن غزة أرض مستباحة. إنه، في جوهره، أداة تُعيد تعريف مَن يملك زمام المبادرة، ومَن يُفرض عليه الانكفاء».

هل تنتهي الحرب على غزة قريبًا؟

زهراء جونى
موقع العهد الإخباري

تتداول الأوساط السياسية، في كيان العدو وخارجه، السؤال عن إمكان إنهاء الحرب في قطاع غزة بعد الاستنزاف في تحقيق «إسرائيل» أهدافها، ويكثر هذا السؤال بعد انتهاء الحرب «الإسرائيلية»-الأميركية على إيران.

مردّ هذا السؤال يعود إلى تقارير إعلامية نشرت، في الأيام الأخيرة، تفيد بأن الرئيس الأميركي دونالد ترامب يسعى لإقناع رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو بالموافقة على اتفاق لوقف إطلاق النار في قطاع غزة. وعلى الرغم من عدم اتضاح الموقف «الإسرائيلي» وحقيقة نواياه بشأن إيقاف الحرب، فقد برز تصريح جديد لنتنياهو يشير فيه إلى اقتراب التوصل إلى حل والعودة الى تفعيل مسار المفاوضات وفقًا لاقتراح ويتكوف السابق، كما برز تصريح للرئيس الأميركي دونالد ترامب يتحدث فيه عن طرح لوقف إطلاق النار لمدة ٦٠ يومًا.

هذه المعطيات كلها تعيدنا إلى واقع الجولات السابقة، وما حملته على مستوى الضغوط الأميركية غير الفعّالة من جهة، ومواقف الكيان الملتبسة وغير الواقعية بشأن إيقاف الحرب من جهة أخرى.. فهل تكون الحرب الأخيرة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وما أنتجتهُ بعد صمود إيران وفشل الأهداف الأميركية و«الإسرائيلية»، قد ألقت بمفاعيلها على صنّاع القرار في الولايات المتحدة الأميركية ودفعتها لإتخاذ قرار التهدئة في الساحات المختلفة في المنطقة ومن بينها ساحة غزة؟

مما لا شكّ فيه أن الأحداث المتسارعة، في المنطقة، تصعّب الإجابة عن كثير من الأسئلة المرتبطة بمصير كل ساحة من ساحات المواجهة، وإن كان العمل لإضعافها ما يزال قائمًا. لكن انتصار إيران صعّب المهمّة وعزّز الساحات، وأدخل المنطقة برمّتها في مرحلة جديدة. أما السؤال الحقيقي فهو: «لماذا يريد ترامب إنهاء الحرب على غزة فيما لو صحّت الضغوط الأميركية على كيان العدو في هذا السياق؟.»

قد تكون التقارير التي أوردتها هيئة البثّ «الإسرائيلية» العامّة وموقع «والا» الإلكترونيّ وموقع صحيفة «يسرائيل هيوم»، وصحيفة «يديعوت أحرونوت» عبر موقعها الإلكترونيّ «واينت»، كفيلة بالإجابة عن هذا السؤال. بحسب التقرير، إنّ ترامب يسعى لإنهاء الحرب بهدف التفرّغ لمسألة التطبيع وإنجاز ما يسمّيه بالصفقة الكبرى على مستوى المنطقة، ووفقًا للتقرير، يهدف ترامب ونتنياهو إلى: «الإسراع في إبرام اتفاقيات سلام جديدة مع الدول العربية، في جزء من توسيع نطاق اتفاقيات إبراهام»؛ بحسب ما ورد في الإعلام الإسرائيلي.

كما تذهب مجلة «نيوزويك» الأميركية إلى الحديث عن الفكرة نفسها مؤكدةً، نقلًا عن مصدر مطلع على المفاوضات لوقف إطلاق النار في غزة، أن التوصل لاتفاق في القطاع ممكن جدًا، وأن ترامب يبذل قصارى جهده لإقناع «الإسرائيليين»، ما يؤدي إلى نقاش وتفاوض أهم يرتبط بمستقبل «اتفاقية السلام الإسرائيلية-الفلسطينية»؛ بحسب تعبير المجلّة.

إذًا، مهما كان الجواب عن السؤال عن إمكان انتهاء الحرب في غزة، فإنّ مفاعيله لن تكون سهلة، وتحمل في طيّاتها مخاطر عديدة، سواء استكمل الاحتلال عملية الإبادة الممنهجة على أبناء قطاع غزة، أم نجح الضغط الأميركي على الكيان في التوصل إلى اتفاق يقضي بإنهاء الحرب والدفع باتجاه استكمال المشروع الأميركي - «الإسرائيلي» في التطبيع مع الدول العربية في المنطقة. يبقى الرهان على المقاومة في صدّ هذه المشاريع وحماية القضية الفلسطينية من الأطماع الأميركية و«الإسرائيلية».

الإعلام المحارب.. المشهد الإيراني نموذجًا

ليلى عماشا
موقع العهد الإخباري

الإعلام ميدان حرب، وحين يشتدّ وطيس المعركة العسكرية، يصبح هذا الميدان أرض قتال بامتياز. وإن كان العدوّ قد تمرّس سنين في استخدام سلاح الإعلام في حربه المتواصلة علينا. بردت ساحات المعركة أو اشتعلت، فإن مشهد الإعلام في إيران وهو يخوض حرب الدفاع عن الأمّة جمعاء يختصر بسلاسة ووضوح دور الإعلام المقاوم والمحارب من أجل الحقّ.

بالتكامل مع العمليات العسكرية والضربات التي توجّهها الجمهورية الإسلامية في إيران إلى الكيان المؤقت في فلسطين المحتلّة، يقوم الإعلام الإيراني الرسمي بعمل دؤوب على مختلف المستويات.

على المستوى التعبويّ مثلًا، يبثّ الإعلام الإيراني وعلى مدار الساعة المواد الإخبارية التي ترفع من عزيمة الشعب ومن مقدرته على فهم المرحلة وتحمّل صعوباتها.. بالتزامن مع رفع الجداريات في مختلف مناطق ومدن إيران والتي تؤكّد حقيقةً أنّ المعركة القائمة هي معركة كلّ إيراني مهما كان توجهه السياسي. وفي الوقت نفسه، يعمل الإعلام على إشراك كلّ مواطن في المعركة، فيدعو الكلّ إلى التبليغ عن أي «شبهة» يراها ولا سيّما في ما يتعلّق بالشاحنات والآليات التي قد تحمل مسيّرات أو ذخائر معادية، دسّها العدوّ عبر عملاء له بهدف تنفيذ عمليات أمنية عدوانية من داخل الجمهورية.

أما على المستوى الإخباري، فيرتكز الخبر الرسمي المتعلّق بالوعد الصادق ٣ على الخطابات والتصريحات الرسمية الصادرة عن آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي، أو عن رئيس الجمهورية السيد مسعود بزشكيان، وكذلك عن المتحدثين والمسؤولين الإيرانيين المعنيين مباشرة بالمعركة، وعلى البيانات الرسمية الصادرة عن الجهات المختصة ولا سيّما الجيش والحرس الثوري، وصياغة هذه البيانات تقوم على إبلاغ الشعب بمجريات المعركة وما تقوم به الدولة دفاعًا عن سيادتها وأرضها وشعبها.

على المستوى المهنيّ، والذي يقوم أولًا على المصداقية، يختصر مشهد الإعلامية الاستشهادية في التلفزيون الإيراني سحر إمامي حكاية الإعلام الإيراني: فبعد أن قام الصهاينة بالتهديد بقصف مبنى التلفزيون، رفض العديد من العاملين فيه ومنهم سحر مغادرته، تعبيرًا عن التزامهم الوطني الصادق وانتمائهم المتين لأرضهم وقضية شعبهم الذي يواجه العدوان بكل صلابة. واصلت الإعلامية إمامي تغطيتها على الشاشة حتى لحظة القصف الذي شوهد بالمباشر، توقّفت لدقائق ثمّ ظهرت على البث المباشر وقد أُستعيد بسرعة قياسية، لتواصل عملها الإعلاميّ المحارب. مشهد الصمود والتحدّي والثبات هذا يشكّل الآن مشهدية ستحكيها الأجيال عن دور الإعلاميين في الحرب.

في الحرب، الإعلام ليس مجرّد منصة تنقل الخبر، بل ميدان قتال، ينخرط فيه المؤمنون بقضيّتهم والمنتمون حقًا إلى أمّتهم من الذين يمتلكون الأدوات الإعلامية والقادرين على لعب دور فعال فيها. يحاربون الدعاية الموجّهة ضدّهم بشجاعة وجسارة وصدق، يرفعون من الروح المعنوية لمشاهديهم ولشعبهم، يكذّبون كلّ أضاليل العدوّ ويصنعون مع قيادتهم النّصر العظيم.